نصوص تاريخية

رسالة الكاتب ابن أبي الخصال

التي نال فيها من كرامة المرابطين

عرف المرابطون بالحلم والتسامح والإغضاء حتى انهم لم يُريقوا محجَمَ دم في غير ساحة القتال . وموقف يوسف بن تاشفين من المعتمد بن عباد معروف بل ومن غيره من ملوك الطوائف ورؤساء الأندلس الذين سلَّمُوا فسَلِمُوا بعد أن كان منهم من الشغب والخلاف على اثر واقعة الزلاقة الشهيرة ما كاد يودي بحياة الشعب العربي في الأندلس مرةً أخرى لولا مسارعة يوسف بتلبية رغبة هذا الشعب في النجدة والإنقاذ .

وقد أدت تصفية ملك الطوائف على النحو المعروف في التاريخ إلى إثارة حملة شعواء على المغاربة عموماً والمرابطين خصوصاً من طرف العناصر الموتورة والفئات التي كانت تستغل الوضع الفاسد الذي كان قائماً في الأندلس لمصلحتها الخاصة . ومن هؤلاء جماعة من الأدباء المتحلّي الأخلاق الذين كانوا يجدون ما يرضي غوايتهم عند سادة العهد البائد ، وآخرون من ذوي الطموح السياسي الذين لم يُرَضَّوا الترضية الكافية فلجأوا الى التشنيع والتقول في الدولة الجديدة .

ولعل صاحبنا أبا عبد الله بن أبي الخصال كان من الفريق الثاني إذ لا نستطيع أن نصمه بأنه كان منحل الأخلاق وهو إلى أن يُعَدَّ في العلماء وأهل الرواية والحديث أكثرُ من أن يعد في الأدباء فضلاً عن اصطناع المرابطين له

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واستكتابهم إياه من قديم ، وهم لم يكونوا يقربون إلا أهل المروءة والدين من العلماء والأدباء . يقول ابن الأبار في ترجمته من المعجم « محمد بن أبي الخصال واسمه مسعود بن طيب بن فرج بن خلصة الغافقي ابو عبد الله ذو الوزارتين .. سكن قرطبة وأوليته من قرية بشقورة تسمى فرغليط وبها نشأ ومنها تردد في طلب العلم والأدب » وذكر جملة من مشايخه ثم قال « وعُنِيَ بالحديث فأتقنه ، وأما البلاغة فاليه انتهت وعليه قصرت وبيوته فقدت » وصفه بهذا أبو القاسم ابن حبيش . وقال فيه ابن بشكوال « مفخرة وقته وجمال جماعته . » قال « وكان متفننا في العلوم مستبحراً في الآداب واللغات عالماً بالأخبار ومعاني الحديث والآثار والسير والأشعار أحد رجال الكمال » وسمعت شيخنا أبا الربيع موسى يقول لم ينطلق اسم كاتب بالأندلس على رجل مثل أبي عبد الله بن أبي الخصال ... وحكى لنا شيخنا أبو الحسين ابن السراج ان خاله أبا بكر ابن خير وأبا القاسم بن بشكوال وأبا القاسم بن غالب المعروف بالشراط قصدوا ذات يوم قبر أبي عبد الله بن أبي الخصال وقد وعدوا أحد تلاميذهم أن يقرأ هناك عليهم قصيدته البائية التي وسمها بمعراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب قال « وكنت فيمن صحبهم لأخذها عنهم فسمعتهم يترحمون عليه ويقولون عند انتهائهم السلام عليك يا زَيْنَ الإسلام » قال ابن الأبار « ومع كماله ، لم يَحْظَ من أمراء عصره بآماله ، وهي عادة الأيام العادية في أمثاله تَوارَى لما بهر ، وخفي أضعاف ما ظهر ، وصار أخوه أبو مروان بالكتابة عنهم أشهر ، والذي قعد بأبي عبد الله هو قيام ابن الحاج أمير قرطبة على ابن تاشفين وثورته التي نكب عنها ، ونجا ولكن كيف منها ؟ وكان حينئذ أوثق حاشيته وأسبابه ، وألصق وزرائه به وكتابه ، مع أن اختصاصه لم يكن إلا بابنه أبي يحيى أبي بكر ابن أبي عبد الله حتى وسمه بذي الوزارتين فجرت عليه تخصيصاً بعنايته ، ومكافأة لكفايته ، فكم جلى من تلك الخطوب الجلائل ، وأبلى بالبراع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والرسائل ؛ مكان ذوات العمود والحمائل ؛ ولما استقل ابن الحاج وولى ما ولى من أعمال المغرب . عاد ابن أبي الخصال لصحبته هناك هو وأبو بكر بن عبد العزيز وطائفة انضوت من حرمته الى الحصن الحصين والحرز الحريز . وذلك لشغوف هذا الأمير على أترابه وخفوف ذاته الراجحة في حقوق أصحابه ، ثم انهم انتقلوا بانتقاله الى سرقسطة أمّ الثغر الشرقي حين حلها ذاباً عن أرجائها ، ومجاهداً لأعدائها ، حلول البر التقي وإذ حُمّت شهادته قافلاً من غزاته في التاريخ المرسوم كسَد ما نفق في أيامه من بضائع العلوم ، وناصع المنثور والمنظوم ، فلزم أبو عبد الله داره خائفاً من تلك الأحقاد القديمة وراضياً بالإياب اليها من الغنيمة وفي أكثر عمره ارتدّ على العقب مأمولُه ، وامتد بطول مدة ابن تاشفين خُمولُه ... الى أن حتمت منيته بالفتنة الحمديّنية فاستشهد رحمه الله ودفن يوم الاحد الثالث عشر من ذي الحجة سنة ٥٧٠ . ومولده سنة خمسين وقيل سنة ٤٦٣ » .

فهذه الأطوار التي تقلب فيها كاتبنا الكبير تدل على أنه كان ذا نفس قوية وانه لم يَستَغْنِ بالعلم بل تشوف الى الظهور عن طريق السياسة ، ومن ثم شارك في ثورة ابن الحاج بقرطبة . وابن الحاج هذا هو ابو عبد الله محمد ابن داود بن عمر اللمتوني أمير قرطبة من رجالات يوسف بن تاشفين وذوي السابقة في الجهاد بالأندلس وكان قد دَفَعَ إمْرةَ علي ابن يوسف وتَملكاً عن بيعته لأول ولايته سلطانَ أبيه ومالأه الملأُ من أهل قرطبة ، مشيختِها وفقهائها وذلك سنة ٥٠٠ ثم نُكِب وقُبِض عليه وفسد تدبيره وهرب من كان معه من الأعيان الى أن رضي عنه علي بن يوسف وولاه مدينة فاس وما اليها من الأعمال ثم نقله الى ولاية سرقسطة وبلنسية من شرق الأندلس حيث استُشهد سنة ٥٠٨ ، وكان ابن ابي الخصال يصحبه في هذه المدة كلها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويكتب له ويظهر انه صحب ابنه أبا بكر الملقب بأبي يحيى قبل صحبته لأبيه وخدمه كما خدم أباه وهو الذي لقبه بذي الوزارتين كما سبق عن ابن الأبار ثم التحق بعد ذلك بخدمة أمير المسلمين علي بن يوسف . وعلى ما يُفهَم من أسجاع الفتح بن خاقان كان تلقيبُ الأمير أبي يحيى له بذي الوزارتين في حالة سُكْرٍ أيامَ قيامهم على عليّ بن يوسف . وابنُ خاقان وإن نوّه به كثيراً فان كلامه عنه لا يخلو من مَغامز .

وعلى كل حال فنحن نعتقد انه بعد وفاة مخدومه الأول الأمير ابن الحاج خدَم علي بن يوسف كاتباً مع أخيه ابي مروان عبد الملك كما عند (المعجب) وربما كان أخوه هذا هو الذي سعى في استدعاء أمير المسلمين له إذ يظهر من عبارة ابن الابار انه كان محظوظاً عندهم وعالي المكانة لديهم وإذن فقد أخطأ ابن الابار في قوله : ان صاحبنا لزم داره بقرطبة بعد وفاة ابن الحاج خائفاً من تلك الأحقاد القديمة الخ ... فان أمير المسلمين كان قد عفا عن ابن الحاج وعن جميع أتباعه وهو منهم فلم يكن لديه ما يخاف منه ولو كان يريد الانتقام منه لما امتنع عليه . وأعظم من هذا أننا نرى عبد الواحد المراكشي في (المعجب) يذكر انه كتب لعليّ بن يوسف مع أخيه ابي مروان ولا يكون ذلك إلا بعد عَطَلَه من العمل . وفي هذه الأثناء كتب رسالته المشهورة في التشنيع على المرابطين التي استفزت حلم أمير المسلمين فعزله عن كتابته وحينئذ يكون لزم داره متخوفاً من تلك الأحقاد على حق في هذا التخوف .

وسياق الخبر كما يستفاد من (المعجب) ان علي بن يوسف كان قد استدعى كاتبنا فيمن استدعاهم من أعيان الكتاب الأندلسيين للكتابة عنه ، وانه كان من أنبههم عنده وأكبرهم مكانة لديه كما قال ابن الأبار في أخيه أبي مروان « فلم يزل أبو عبد الله هذا وأخوه كاتبين لأمير المسلمين الى أن أخَّر أميرُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المسلمين أبا مروان عن الكتابة لِمَوْجِدة كانت منه عليه سببها أنه أمره وأخاه أبا عبد الله أن يكتبا عنه الى جند بلنسية حين تخاذلوا وتواكلوا حتى هزمهم ابن رذمير لعنه الله هزيمة قبيحة[1] وقتل منهم مقتلة عظيمة فكتب أبو عبد الله رسالته المشهورة في ذلك ، وهي رسالة كاد أهل الأندلس قاطبة أن يحفظوها ، أحسنَ فيها ما شاء وقد منعني من إيرادها ما فيها من الطول وكتب أبو مروان رسالة في ذلك الغرض أفحش فيها على المرابطين وأغلظ لهم في القول أكثر من الحاجة فمن فصولها قوله (أي بَني اللَّئيمة ، وأعْيارَ المزيمة ، الى مَ يُزَبِّنكم الناقد ، ويردكم الفارس الواحد ؟

فليت لكم بارتباط الخيو ل ضأناً لها حالب قاعدُ)

لقد آن أن نُوسِمكم عقابا ، والاَّ تَلوثُوا على وجه نقابا ، وان نعبدكم الى صحرائكم ، ونطهر الجزيرة من رُحَضائكم) في أمثال هذا القول . فأحنق ذلك أمير المسلمين وأخّره عن كتابته ، وقال لأبي عبد الله أخيه كنا في شك من بغض أبي مروان للمرابطين والآن قد صح عندنا . فلما رأى ذلك أبو عبد الله استعفاه فأعفاه ورجع الى قرطبة بعد ما مات أخوه أبو مروان بمراكش ، وقام هو بقرطبة الى أن استشهد رحمه الله أول الفتنة الكائنة على المرابطين[2] .

وهذا النص ان كان أفادنا بسبب كتابة الرسالة التي نحن بصددها فان فيه تخليطاً على ما يظهر وبيانه :

---

(١) انظر عن حروب ابن رذمير والمرابطين ما أورده كتاب القرطاس أثناء ترجمة علي بن يوسف وبالخصوص حوادث سنتي ٥١٢ و ٥١٣ التي سقطت فيها مدينة سرقسطة بيد ابن رذمير وبلاد اخرى من شرق الأندلس وهي الحوادث المعنية بهذه الهزيمة التي صدرت فيها الرسالة على ما نظن . وابن رذمير هو الفونس الأول ملك اراغون .

(٢) المعجب ص ١٧٦ طبعة دار الكتاب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١ — ان أمير المسلمين كلف الأخوين معاً بأن يكتب كل منهما رسالة في الموضوع فكتبا رسالتين مُقْذِعَتَيْن ولكن التي كتبها ابو مروان كانت أفحش من التي كتبها ابو عبد الله . والعجيب ان التي اشتهرت وطارت كل مطار هي التي لهذا الأخير مع أن الأمر ينبغي أن يكون على العكس وهو أن تشتهر الرسالة التي هي أكثر فحشاً والتي كانت السبب في عزل صاحبها . ثم لِمَ يكلّفُ أميرُ المسلمين الكاتبين معاً بكتابة هذه الرسالة ؟ أكان في شك من كفاءتهما فهو يريد أن يمتحنهما ؟

٢ — إن الفصل الذي أثبته المراكشي وقال انه من فصول رسالة أبي مروان هو في رسالة أبي عبد الله كما وجدناها في نصها الكامل بأحد المجامع الأندلسية من مخطوطات مكتبة الاسكوريال تحت رقم ٥٣٨ منسوبةً الى أبي عبد الله وسيراه القارئ في هذه الرسالة التي سنُثْبِتُها فيما يلي . وهو قد اقتضبه اقتضاباً وتصرف فيه بالتقديم والتأخير مما يدل على أنه أثبته من حفظه وليس من نسخة كانت عنده .

٣ — ان أحداً من المؤرخين لم يذكر عن أبي مروان شيئاً مما يفيده كلام المراكشي وانما يفيد كلامهم عنه انه كان يحل من أمير المسلمين بمنزلة الحَبّ المُكرَّم ، وان الذي نبا به المنزل عنده هو أبو عبد الله وهو في قول المراكشي نفسه صاحب الرسالة المشهورة التي كاد أهل الأندلس أن يحفظوها . ثم هو الذي نزح باتفاق معه من مراكش الى قرطبة وانزوى ببيته فيها خائفاً من نتيجة عمله على حين أن أبا مروان توفي بمراكش ، فلِمَ لا يكون توفي وهو في خدمة أميره متمتعاً برضاه لأنه لَمْ يعلَقْ قط بما يوجب تنحيته عن الخدمة ويسبب له سخط رئيس الدولة ؟ . . .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٤ — ان المراكشي لم يُشر الى أن رسالة أبي عبد الله كانت مدحاً أو ذماً ومقتضى سيرورتها وحفظ الأندلسيين لها انها من القبيل الثاني فلِمَ لَمْ يُعاقب أبو عبد الله بشيء وهو صاحب السابقة في الخروج والتضامن مع الثائر ابن الحاج ؟ . . . .

ففي نظرنا أن المراكشي وقع له وَهم في هذا الخبر لأنه كتب من حفظه بعيداً عن وطنه . وليست هذه بأولى غلطاته التاريخية التي نبهنا عليها في ترجمته من الذكريات . وان القريب إلى الصواب أن تكون الرسالة من إنشاء أبي عبد الله وانه هو الذي قال فيه أمير المسلمين لأخيه أبي مروان « لقد كنا في شك من بغض أبي عبد الله المرابطين والآن صح عندنا » لا العكس الذي جاء في عبارة المعجب واذ ذاك استعفى أبو عبد الله فأُعفيَ ورجع الى قرطبة ولزم داره وبقيَ ابو مروان في منصبه حتى توفي .

والآن نرجع الى الرسالة التي قلنا اننا عثرنا عليها في مجموع أندلسي من مخطوطات المكتبة الاسكوريالية فنقول انها تقع في صفحتين من هذا المجموع وثلث الصفحة وكل صفحة تحتوي على ٢١ سطراً ، وخطُّها كباقي المجموع الأندلسي واضح ، وان كان لا يخلو من تحريف وهي مسبوقةٌ برسالة صادرة عن تاشفين بن علي الى أهل بلنسية لم يُسَمَّ كاتبُها ومتبوعةٌ برسالة أخرى من إنشاء كاتبنا ، مما كتب به عن أمير المسلمين عند جوازه من سبتة للجزيرة الخضراء . والمُهِمُّ انه في نهاية رسالتنا هذه وردت هذه العبارة « كمل ما كتب به الفقيه الأديب الكاتب البليغ ذو الوزارتين ابو عبد الله بن أبي الخصال عن أمير المسلمين » فلم يبق شك في أنها لصاحبنا أبي عبد الله لا لأخيه أبي مروان وبما أن العبارة التي أوردها صاحب المعجب ونسبها لأبي مروان هي من رسالة صاحبنا هذه فقد ترجح بذلك ان ليس هناك إلا رسالة واحدة في الموضوع وانها من إنشاء أبي عبد الله لا غير .

وسيرى القارئ لهذه الرسالة ان كاتبها أفحش فيها غاية الإفحاش ، وتناول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المرابطين بالقدح في دولتهم والطعن في أصلهم ، فجعلهم من بقايا بني الأصفر ، وهم ـ كما عُلِمَ ـ ينتسبون في صنهاجة الى حِمْير . ثم عيّرهم بالجبن والبداوة واللؤم ، وجعل دخولهم للأندلس نكبة ووبالاً عليها ، وانها بحاجة الى التطهير منهم ، ولم يدع سُبّة ولا كلمة تُنالُ من كرامتهم تصريحاً أو تلويحاً إلا رماهم بها ، كأنه كان يهتبل هذه الفرصة ليعبّر عن حقد دفين عليهم ، ومع ذلك يقال انه لم يحظ عندهم ولم ينل ما يستحقه من العطف والتقدير ، فالعجب كيف سلم بجلده بعد هذه الفعلة الشنعاء ! واقتصارُ أمير المسلمين مع ذلك على إعفائه من الكتابة عنه ؛ لَهُوَ في نظرنا مُغرِّبةُ الاخبار في الحلم والسماحة والصفح فلو صدر بعضُ ما في هذه الرسالة من الذم والهجاء من أحد كتاب الأندلس أو شعرائها في أحد ملوك الطوائف الذين يُقال أنهم كانوا يَبرُّون الأدباء ويكرمونهم ويُوفُون لهم حقهم لما كان جزاؤه الا القتل لا أن يستعفيَ ويذهبَ لحال سبيله فيأويَ الى بيته خائفاً يترقب على ما قيل ؟ .. ومما يؤكد أن صاحبنا كان ناقماً على القوم لسبب ما ، وربما كان هو خيبته السياسية كما قدمنا ، انه توفي مغتالاً في فتنة ابن حَمْدين الذي أراد أن يغتنم فرصة انحلال الدولة المرابطة فدعا لنفسه في قرطبة ولم يتم له أمر بدخول الموحدين اليها وقضائهم عليه وعلى رؤوس الفتنة جميعها . فهل شارك هو أيضاً في هذه الفتنة بما أوجب اغتياله ؟ ....

وبعد فهذا نص رسالته رحمه الله وعفا عنه ؛ وكنا نود أن نشرحها بما يُوضح معناها للعموم فرأينا ذلك يطول وحبذا لو وقع ضبطُها بالحركات في الطبع على ما ضبطناها في الخط فذلك مما يُعين القارئ المتوسط على فهم أغراضها البعيدة المرمى ، ولا شك أن أمير المسلمين أدرك جميع معانيها الخفية حتى تأثّر بها وسرّح كاتبها من خدمته ، وهذا وحده ، مما يكفينا للدلالة على ما كان عند الأمراء المرابطين من ثقافة عربية متينة :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(من أمير المسلمين وناصر الدين أما بعد يا فرقة خبثت سرائرها، وانتكثت مرائرها، وطائفة انتفخ سحرها، وغاض على حين مده بحرها، فقد آن للنعم أن تفارقكم وللأقدام أن تطأ مفارقكم، حين ركبتموها جلواء عارية، وأصبحتم في ادراع عارها أمثالا سواسية، واختلط المرعي منكم بالهمل، فما يتميز الأنقص من الأكمل، فطأطأتم لها رؤوس عشائركم، وقضيتم بالفسولة على سائركم، لا جرم أن قد صرتم سمر الندي، والأحاديث الملقنة بالغداة والعشي، بما خامركم من الجبن والخور، واستهواكم من لقاء عدوكم بالجانب الأزور، لا تواجهونهم طرفة عين، ولا تعاطونهم حمة حين، بل تعطونهم الضعة هنيئا مريئا، وتتخذونهم وراءكم ظهريا، والرماح نحوكم لم تشرع، والخيل لم تسرع؛ والنفوس في حياض المنية لم تكرع، فانكم ثلة ذئابهم، وفريسة أنيابهم، قد نقبوا في بيوتكم، وناهضوكم بلبوتكم، وحاربوكم عاما على إثر عام، حتى ألزقوكم بالرغام، وتركوكم أسلح من حبارى، وأشرد من نعام، فالآن حين ملأتم أيديهم متاعا، ووادهم سلاحا وكراعا، قد غزوكم في عقركم، وأذاقوكم وبال أمركم، فلذتم بالجدران، وبؤتم بالندامة والخسران، يا بقايا بني الأصفر، وسجايا ذوات الدل والخفر، أكرهتم زحافهم، وكنتم - علم الله - أضعافهم، أنى لكم بالمعذرة وأين، وقد فرض الله الواحد منكم بالاثنين، فقال «إن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين» هذا وكليتكم العليا وحلوبتكم الحياة الدنيا. ما شئتم من صارم وطرف ونحض وركائب وسوام، وتضائد وخيام، فيا أسفا للحق يدمغه الباطل، والحالي يبتره العاطل، لا يا لحنيفية تحرزتم،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا إلى الحفيظة والإنابة تحيزتم ، ليت شعري بماذا تقلدتموها هندية ، واعتقلتموها سمهرية خطية ، وركبتموها جرداً سوابق ، ومتكتموها مغارب ومشارق ، ثاوين في غير عدادكم ، منتزين على أضدادكم ، يؤدون الإتاوة إليكم حين أشرقتموهم بالهوان ، وأنتم فيهم غرباء الوجه واليد واللسان ، وصيروكم عبيد العصى ، ولبسوا بالاكثر منكم حصا[1] بل شرذمة قليل نفعها ، كثير نجعها ، فياعجباً لذهولكم ، شبانكم وكهولكم ، تتأكلون ثمرها ، ولا تصلتون جمرها ، وتذهبون بحلواتها ، ولا تصبرون على لأوائها ، أي بني اللئيمة ، وأعيار الهزيمة إلى م يزيفكم[2] الناقد ، ويردكم الفارس الواحد

ألا هل أتاها على نأيها بما فضحت قومها غامد
تمنيتم مائتي فارس فردكم فارس واحد
فليت لكم بارتباط الخيو ل ضأناً لها حالب قاعد

ومن لرعاة الإبل ، ياللجد المقبل ، لقدماً ما أذهبتم التالد والطارف ، وعجت عجيجاً من جذامى المطارف ، وأنتم قد قدحتم في ملكنا ، وآذنتم بانتثار سلكنا ، فلولا من لدينا من ذويكم ، وضراعتهم إلينا فيكم ، لألحقناكم عجلا بصحرائكم ، وطهرنا الجزيرة من رحضائكم بعد أن نوسعكم عقابا ، ونحدّ أن لا تلثوا[3] على وجه نقابا ، فاللؤم تحت عمائمكم ، والوهن

(١) بالأصل ولستم بالاكثرين منهم حصا ، والتصحيح من الطرة لكن ان ناسب المعنى الذي قبله فليس يناسب الذي بعده . والعبارة على كل حال مقتبسة من قول الشاعر :

ولستُ بالأكثر منهم حصاً وإنما العزّةُ للكاثر

(٢) بالأصل يريكم والتصحيح عن المعجب فضلاً عما يقتضيه لفظ الناقد من التزييف .

(٣) بالأصل تلوا فلعل الواو الثاني سقط عند النسخ وفي المعجب تلوثوا وهي أحسن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والفَشَلُ طَيَّ عَزائِمِكم ، لكِنْ ما جُبِلْنا عليه مِنَ الأناة ، وتوَخَّيْناه قِدْماً من إيقاظ ذَوِي الهِمَمات ، يَكُفُّنا عن اسْتِيصالِكم ، ويَحْمِلُنا على شَحْذِ نِصالِكم ، فتَشَمَّرُوا يا بُغاةَ الهَيْجاء ، واسْتَنْيِسُوا بعد الوِحْشاء ، واحْذَروا حِلْماً أغْضَبْتُموه ، ووَادِياً مِن الصَّبْرِ أنْضَبْتُموه ، وتَوَقَّوْا صَدْراً أحْرَجْتُموه ، ولَيْثاً مِنْ أجَمَتِه أخْرَجْتُموه ، وأَيْمُ اللهِ نُقْسِمُ إنذاراً بِكُم وإعْذاراً لكُم ، لَنُورِدَنَّ الفَارَّ منكُم مِنَ الزَّحْفِ ، ما عافَه مِنْ مَوْرِدِ الحَتْف ، ولَنَتجاوَزَنَّ السَّوْطَ الى السيْف ، ولَنُبَدِّلَنَّ المَعْدِلَةَ فِيكم بالحَيْف ، فلْيَعْلَمِ المُحْجِمُ منكم عن الإقْدام ، أنَّه سَلِمَ مِنَ الحِمَام إلى الحِمَام ، وتَخَطَّى مَصْرَعَ الأسد البَاسِل ، إلى جِذْعٍ ماثِل ، وشَهادةَ الأبرار ، إلى مَشْهَد الذُّلِّ والصَّغَار ، كما أنَّ مَن أُصيبَ منكمْ في حَرْب ، أو أُبْلِيَ بطَعْن أو ضَرْب ، خلَفْناه في الأهْل والوَلَد ، وبِعْناه الأثَرةَ والكَرَامَةَ يَداً بِيَد ، فاخْتَارُوا لأنفُسِكم وأعقابِكم ، وانضُوا ثَوْبَ الخِزْيِ عن رِقابِكم ، والسلام ، على مَن حَمَى الإسلام) .

عبد الله كنون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net